

السيدة السورية

علم الثورة يرفرف .. لكن حفظ الأمن والأمان وتأمين حاجات المواطن الأساسية في المأكل والمشرب والرعاية الطبية شيء آخر

مضى يومان وتوجب علينا ألا نغادر المكان الذي نحن فيه .. في اليوم الثالث، يوم السبت بدأت الأمور تأخذ مجراها الطبيعي واستطعنا الوصول إلى أحد المراكز الطبية .. المركز يغص بالمراجعين .. منهم نساء كثير يصطحبن أطفالهن .. صبية ورجال .. الجميع هادئ بسبب تنظيم الدور للدخول للفحص والعلاج الطبي .. كل له رقمه الذي يدعى به للدخول لغرفة الفحص عند الطبيب

مدير المركز بدا لنا يومها منمكاً ومتأثراً .. كان ذلك واضحاً لنا عندما تبادلنا معه أطراف الحديث عن سير العمل في المركز الطبي وعن أسئلتنا الأخرى فيما يخص توفر الأدوية للمرضى

أبو إبراهيم .. مدير المركز .. يقاطعنا ويقول .. يا جماعة مرّت عليّ اليوم حادثة تشبه المعجزة .. عندما وصلت اليوم المركز مبكراً عند طلوع الشمس .. فوجئت بامرأة جالسة على الأرض أمام باب المركز وعلى يدها طفل ملفوف بردائها .. سلّمت عليها وسألته عن حالها .. فأجابت بأنها وضعت وليدتها قبل قليل .. فما كان مني .. إلا أن أحضرت سيارة ونقلتها ووليدتها إلى أقرب مشفى

بينما نحن جلوس وأبو إبراهيم يقص علينا نبأ هذه المرأة دخل طبيب المشفى علينا .. الطبيب الذي قام على رعاية المرأة ووليدتها في المشفى ويخبر أبا إبراهيم .. بأنه لا يكاد يصدق ما جرى اليوم وبأن تجري ولادة هذه المرأة اليوم بالشكل الطبيعي دون أن يحدث لها مضاعفات .. تكاد تودي بحياتها .. فعند تحرير بياناتها الشخصية تبين بأن الولادات الثلاثة الأخيرة لها كانت عن طريق عمليات قيصرية .. ولا بد من أن تكون الولادة الرابعة عن طريق عملية قيصرية أيضاً .. لكن لطف الله عزّ وجلّ حماها ورعاها .. وهي الآن بحالة جيدة .. وقدّم بدوره الشكر الجزيل لمدير المركز أبي إبراهيم على نجده لها ووليدتها في الوقت المناسب

رواية الحادثة أخذتني في التفكير العميق .. هذه الحادثة يجب ألا تمر دون تدوين لبعض ما يحدث في سورية من مأسٍ .. في الصباح الباكر تواصلت مع مدير المركز الطبي وسألته عن حال المرأة ..

فأكد بأنه وصل إلى علمه .. بأن المرأة قد خرجت من المشفى إلى بيتها .. عندها رجوته بأن يبحث لنا عن عنوانها .. لنزورها ونطمئن مباشرة عنها وعن وليدتها

بما أن الشوارع غير معنونة والبيوت غير مرقمة في تلك المناطق .. يصبح من الصعوبة في مكان أن تصل إلى باب بيت تبحث عنه .. ولا بد من السؤال تلو السؤال .. كي تصل إلى مقصدك

بصعوبة بالغة .. وصلنا البيت .. جدران وأرض وسقف .. تندر المحتويات في البيت .. سوى ما هو مهترئ جداً .. جلست المرأة أمامنا ضامة وليدتها إلى صدرها .. سألتها عن صحتها .. فحمدت الله عزَّ وجلَّ .. وقالت إنها بخير .. عرفت على مدير المركز .. الذي أسعفها من أمام المركز الطبي .. فعرفته وشكرته .. وعرفت على نفسي .. وطلبت منها .. أن تروي لي قصة وصولها إلى المركز الطبي وولادة ابنتها أمام باب المركز .. هذا إذا كانت مرتاحة وحالتها الصحية تسمح بذلك

انطلقت إلينا في الحديث قائلة .. بأنها قبل ثلاثة أسابيع اصطحبت أحد أبنائها للفحص الطبي في المركز وجرى كل شيء على أحسن حال ..

وتابعت تقول بأنها .. قبل يومين في مساء الجمعة إلى السبت أحست في المساء بوجع شديد في الظهر .. لكنها لم تعره اهتماماً كبيراً .. لأنها حسب قولها .. ما زالت في الشهر الثامن للحمل .. لكن الوجع أخذ في الازدياد مع مرور الليل .. إلى أن وصل حداً لا يطاق .. وفي البيت لا يوجد من الرجال من يساعدها .. سوى أبيها المريض .. الذي لا يقدر على شيء .. هنا خرجت ليلاً من المنزل هائمة على وجهها .. وقطعت عدة شوارع حتى وصلت إلى الشارع العام .. واستطاعت استيقاف سيارة .. واستنجدت بصاحب السيارة ليوصلها لأقرب مشفى ممكن .. أجاب صاحب السيارة بأنه لا يعرف أي مشفى في هذه المنطقة .. فأجابته .. أنا أرشدك الطريق .. سارت بهم السيارة وأرشدته إلى مكان المركز الطبي .. نزلت بالقرب من المركز الطبي .. وتابع السائق طريقه .. ترجلت إلى باب المركز .. لكنها لم تجد أحداً والليل والهدوء يخيمان على المكان .. هنا أحست بأن وليدتها قد سقطت على الأرض .. فما كان منها إلا أن انتزعت قماشاً من غطائها ولفت به الوليدة بسرتها الموصولة وطمرت الجزء الباقي من المشيمة في التراب .. وجلست تنتظر الفرج من عند الله .. عند طلوع الشمس وصل إليها أبو إبراهيم لينقذها ووليدتها إلى المشفى

السيدة مريم العذراء وضعت وليدها إلى جانب النخلة واستطاعت أن تهز جذع النخلة فتساقطت عليها رطباً جنياً .. أما سيدتنا في سورية فلم تجد جذعاً للمجتمع حولها وللمجتمع الدولي

من بعده فتهزه لنجدتها .. فكانت المعجزة أن وضعت طفلتها دون أن ترفع صوتها وطمرت الضمير العالمي في التراب .. لأنها تعلم علم اليقين بأن المجتمع الدولي ليس له عيون وآذان ولا يسمع حتى قصف الطائرات والمدافع بقنابلها المختلفة المتنوعة فتكاً بالبشر وبكل ما له شأن بحياة البشر .. في وسط فصل الشتاء لعام 2016 القارص خرجت وهي تجرأطفالها من بيتها في باب الحديد في حلب تحت وطأة القصف والتدمير إلى مصير مجهول فأوت إلى هذا البيت الذي لا يكاد يقيها برد الشتاء ولا حر الصيف

ولا يسعني إلا أن أقول لهذا العالم الصامت الظالم المتجاهل لمأساة شعب يقتل في عقر داره ..
﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً..﴾

عدنان وعود

ريف حلب .. الأحد 23 تموز 2017